هذا ما يتعلق في الجزء العاشر الذي سأذكره بحروفه، وأما الجزء الحادي عشر المسمى بالنور المتمكن في معنى قوله: المؤمن مرآة المؤمن.

والجزء الثاني عشر المسمى ـ لسان القدر بكتاب نسيم السحر ـ فإنهما قد اشتملا على ما يتعلق بعلو قدر النبي ﷺ، وعلى معان أخرى دقيقة صوفية لا تعلق لها بحسب الظاهر بالنبي ﷺ وإنما استطرد لذكرها لمناسبات دقيقة يعلمها هو، وأمثاله رضي الله عنه وعنهم، ولذلك ذكرت من هذين الجزئين ما يتعلق في وصفه ﷺ فقط، أو قد استكتبتهما من المكتبة الخديوية المذكورة.

واعلم أنَّ أجزاء هذا الكتاب الثلاثة المذكورة، وهي العاشر والحادي عشر، والثاني عشر كل واحد منها كتاب مستقل لا تعلق له فيما قبله ولا فيما بعده ولا أدري هل يوجد هذا الكتاب الناموس الأعظم جميعه الأربعين جزءاً في مكان واحد أولاً لأني بعد كمال البحث في فهارس المكاتب لم أطّلع منه إلا على هذه الأجزاء الثلاثة فأطلب ممن يطلع على شيء منه أنْ يجتهد في نشره لعموم النفع به خدمة لله تعالى وحبيبه الأعظم ﷺ، فإنَّ هذا الكتاب لا نظير له في معناه ومؤلفه من أجل الأولياء الذي أطلعهم الله تعالى على علو قدر حبيبه ومصطفاه ﷺ، وهذا نص الجزء العاشر من كتابه المذكور المسمى بقاب قوسين وملتقى الناموسين، قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله الذي جعل محمداً ﷺ مجلاه الأعز الأكمل، الأفخر الأفضل، الأمجد الأعظم، محل نظره من العالم، ومظهر ذاته من بني آدم، ومرآة جماله وجلاله وكماله الأكمل الأقوم، وترجمان صفاته إلى مخلوقاته بين الحدوث والقدم، باللسان الأقدم، أكمل كملاء الوجود المبهم، طراز حلة الصورة والمعنى المعلم، تاج فرق الجمع المحكم، واحد الدهر الأزلي المدغم، سر الله في الوجود، وخزانة الكرم والجود، سلطان الحقيقتين، وحقيقة الرقيقتين، وواحد الوجهين، وموصوف الوصفين، وحاوي المعنيين، وحائز الكمالين، من العين والأين، المنفرد بالأكملية صورة ومعنى، صاحب قاب قوسين أو أدنى.

عينُ الوجود وواحدُ الموجود ... مجلي محاسن حضرة المعبود
وحقيقةُ الاسم الذي لصفاته ... خضعت رقاب معاند وجحود
متوحدٌ في كل فضلٍ باهر ... ووحيد فرد حقيقة التوحيد
كلُّ الكمال عبارة عن خردل ... متحقر في عزه المصمود
شأن الإله وعينُ واحد ذاته ... المجتبى بصعودهِ المسعود

خال الملاحة نور ضوء جبينها ... قدْ عمَّ مسبوق الفنا بوجود

سعدت به الأكوان طراً إنما ... بالأصلِ يسعد فرع كل سعيد

روحُ المعاني والأواني جملة ... معنى الوجود وصورة الموجود

ذاكَ النبيّ الهاشمي محمد ... عبد الإله خليفة المحمود

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ما صب وبل سجماً ... أو خر رعد رجما

أو لاحَ برق أضرما ... في جنح ليلٍ أظلما

(أما بعد) فهذه رسالة مني إلى عشاق حضرة الكمال، ومحبي بهجة الجمال، ومريدي نسخة الجلال، أعني قوماً عقدوا مع الله على حب الحبيب المختار، ولازموا شريعته متعلقين بأذيال عزه آناه الليل وأطراف النهار، قد تشربت جسومهم بما أفاضت عليها القلوب من خمر حبه المنزّه عن الخمار.

قومٌ بأحمد في الكرام تمسكوا ... وبحبهِ في العالمينَ تهتكوا

وبجاههِ فتعلقوا وتشبكوا ... فوداده حجٌ لهم وتنسك

لا يرتجونَ سواه في مقصود

يبغون أحمد عند غايات المنى ... وبهِ يحوزونَ المسرةَ والفنا

متوسلينَ بهِ يرجُون الغنى ... لله در قلوبهم لهم الهنا

حلوا به في منزل المسعود

الحبُّ أبكاهم وانحلَ جسمهم ... ومحا وأفنى في الحقيقةِ رسمهم

قَدْ أدغموا في نعتِ أحمد اسمهم ... مُذْ قَدْ دعا داعي المحبةِ وسمهم

فهمْ لأحمد من أقلّ عبيدِ

شربوا بكاساتِ المحبة مترعاً ... فلذاك قَدْ صرعوا ويا لك مصرعا

قالوا الفخار بهِ وطابوا منبعاً ... وزكتْ أصولهم بفرعٍ أينما

فهم بأحمد في علا وصعود

متحققين بنوره في قدسهم ... أحياء قد عاشوا به في رمسهم

متطلعين لحسنه في إنسهم ... متشرعين بفعله في حسهم

خلفاؤه في عزة وسعود

ولأهم الرحمن عنه نيابة | ملك الوجود عناية ومنابة
فغلاهم من عز أحمد هابة | نور تلبيه القلوب إجابة

مهما ادعو للعشقِ ودّ ودود

رضي الله عنهم وأرضاهم، وحرسهم ووالاهم، وجمعنا في مقعد مع النبي وإياهم.

اعلموا إخواني أوصلنا الله تعالى وإياكم إليه، ودلنا جميعاً به عليه، أنَّ الطرائق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق للعوام، وليس إلا طريقة واحدة لخواصه الكرام، وذلك معنى قوله تعالى: على لسان حبيبه محمد ﷺ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، وذلك السبيل القويم والطريق المستقيم، هو الحجة البيضاء، والحنيفية السمحاء، شريعة خير الأنام، وطريقة المبعوث إلى الخواص والعوام، عليه أفضل الصلاة والسلام، قد انسد في الظاهر كل طريق غير طريقه، وانغلق في الباطن كل باب غير باب تحقيقه، فلا سبيل إلى نيل السعادة الكبرى إلا بوسيلته، ولا وصول إلى الزلفة العليا إلا بواسطة فضيلته، وكل ولي إنما يستمطر سحابها، ويستهل عبابها، وكل من ظن أنهُ يعرج بغير وساطته، فإنما صعوده هبوط في سجنه وحثالته.

فعليكم بالتعلق بجنابه الرفيع، والتمسك بالعروة الوثقى من جاهه المنيع، مع دوام استحضار تلك الصور الكاملة، التي هي لمعاني الوجود وصوره جامعة شاملة، حتى تفيض لكم الأسرار على الأرواح والأرواح على القلوب والقلوب على النفوس والنفوس على الجسوم من حيه شراباً معنوياً تنتعش به الأرواح والأشباح مذهباً معدماً اطلالكم والرسوم، فتذهبون ويكون ﷺ فيكم عوضاً منكم عنكم، لتنالوا حينئذٍ بقابلية حقيقته المشرفة بوجودكم، ما لم ينله كون من الأكوان في معرفة معبودكم، لأنَّ الله سبحانه وتعالى خص محمداً ﷺ بالتجليات الكاملة الكبرى، التي لم يقبلها قابلية أحد غيره دنيا ولا أخرى، فإذا أشرقت أرض وجودكم بنور شمسه الظاهرة، واستنشقت مشام أرواحكم من خزامى تلك الرياض الناضرة، استوت ذواتكم بنصيبها من قابليته عَلَى بعض تلك المجالي فأصبحت إلى ربها ناظرة، وها أنا أبين لكم في هذه الورقات، وأكشف إنْ شاء الله تعالى نقاب الجهل عن وجوه أسباب هذه المعانى المخدرات، لتعرفوا مقداره ﷺ فتأخذوا بحقائقكم من قابلية النصيب الأعظم، وعند ذلك تغنموا من السعادة الكبرى كل مغنم فلذلك جعلت هذا الكتاب مبوباً على سبعة أبواب.

(الباب الأول) في محتد روحه القدسية وتعاليها في الحضرات الإلهية على المناظر العلية ﷺ.

(الباب الثاني) في عظم شأنه عند الله وتنزله على مجالي أسمائه الحسنى وصفاته العليا إلى العالم الكوني وإيجاد الوجود بوجوده ﷺ.

(الباب الثالث) في كمال خلقته واعتدالها وظهور جمالها وجلالها ظهراً وبطنا صورة ومعنى ﷺ.

(الباب الرابع) في تمييز قابليته من قابلية كل موجود سواه، وبيان صفة قطرات الوجود بالنسبة إلى بحر علاه، ﷺ.

(الباب الخامس) في سر تسميته بالحبيب، وبيان الحركة الحبية لمعرفته للبعيد والقريب ﷺ.

(الباب السادس) في كيفية التعلق بجنابه، والعكوف على بابه، ﷺ.

(الباب السابع) في ثمرة ملازمة تلك الحضرة، والدوام على مشاهدة تلك الصورة وملاحظة ذلك المعنى بالتخيل والفكرة، وهذه الرسالة الكريمة، المشرفة بهذه المسائل العظيمة، سمتها الإرادة القديمة في حضرة العين، وحيث لا أين.

(بكتاب قاب قوسين وملتقى الناموسين، وإنه لهو الجزء العاشر من تجزئة أربعين من كتاب الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ).

وهذا أوان الشروع في الكتاب، والله الموفق للصواب.

(الباب الأول في تنزل روحه القدسية. وتعاليها في الحضرات الإلهية على المناظر العلية. ﷺ) أخبرنا ترجمان الأزل، في مشهده المنزه عن العلل، أنَّ صفات الله الأسنى، وأسماءه الحسنى، تقابلت في معاني الكمالات، لإظهار حقائق الذات، فأظهرت كل صفة ما يخصها من الجمال والجلال، وأبرز كل اسم ما يقتضي معناه من الكمال، وبقيت الذات الإلهية على ما هي عليه من البطون، عَلَى حقيقة الكنزية في الكمون، فاجتمعت حقائق تلك الأسماء والصفات، حيث لا أين في مشهد معنوي للذات، يقول كل منها إنا وإن أظهرنا هذا الكمال، وأبرزنا هذا الجمال والجلال، فإنما أخبرنا عن قطرة من بحر، وحدثنا عن ذرة في قفر، وهيهات هيهات، أين منا ما حوته الذات، فكيف السبيل إلى ظهور الشؤون الإلٰهية الذاتية، المتعالية عن الحقائق الأسمائية

والصفاتية، فحينئذ برزت إشارة كنهية، بعبارة منهية، إني قد اختلفت من ذاتي، نسخة جامعة لأسمائي وصفاتي، بمزيد حقائق الكنه، الذي لا يعبر عنه أبرز فيهِ بروزاً هو عين الكمون، وأظهر فيه ظهوراً هو عين البطون، متصوراً بصورة بديعة، متنزلاً في مشاهدي الرفيعة، تكون تلك الصورة مجلى لشأوكم الرفيع، ومظهراً لشأنكم البديع، وتستأثر في نفسها، بما لها في قدسها، من كنه لا يعرف، وحقيقة لا تدرك ولا توصف، فتكون نسبة ذلك المظهر الأكمل، والمجلي الأعز الأفضل، إلى مظاهركم العظيمة، ومجاليكم الكريمة، سيد الذات إلى الصفات، ليكمل ثنائي على علائي، فشققت من الحمد اسمها إذ كان ذلك رسمها، فسميتهُ محمداً وأحمد ومحموداً، وجعلتهُ عابداً ومعبوداً، ومن ثم جعلت لها الحمد لواه، والوسيلة العظمى مستواه، فالأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم مظاهر الأسماء والصفات ومحمد ﷺ مظهر الذات، وكذلك كان هو الختام، لمقام الجلال والإكرام، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

(الباب الثاني في عظم شأن محمد ﷺ وشرف وكرم عند الله تعالى وتنزله على مجالي أسمائه الحسنى وصفاته العليا إلى العالم الكوني وإيجاد الوجود بوجوده ﷺ).

اعلم وفقنا الله تعالى وإياك، ولا أخلانا من أنسه ولا أخلاك، إنَّ النبي ﷺ هو واسطة الله بينه وبين عباده، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله "أنا من الله، والمؤمنون مني" قد شهدته الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليه وعليهم قبل ظهوره بأنه صاحب كمالاتهم في ترقياهم.

وعلموا علوّ شأنه عليهم في عظيم مكاناتهم، واستمد الجميع به في ذواتهم، وإلى ذلك الإشارة في إمامته بهم فوق السموات فهو إمام الأنبياء، وقدوة الأولياء، صورة ومعنى صلوات الله وسلامه عليهِ وعليهم.

واعلم إنهُ ﷺ لما تنزل من الحضرة الأحدية، إلى الحضرة الواحدية، ظهر فيها بحقائق الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فتعشقت به الحضرة الكمالية تعشق الاسم بالمسمى والصفة بالموصوف فكل معاني تلك الكمالات لا تشير بحقيقتها إلا إليه، ولا تدل بهويتها إلاّ عليه، فلو تحقق أحد بكمال من تلك الكمالات المشار إليها، كان عطفاً عليه لديها، وتقدير هذا الكلام أنه لو تحقق مثلاً ألف نبي، أو ولي كامل بالحقيقة النورية حتى صار كل منهم نوراً مطلقاً، ثم أطلقت اسمه النور لم يقع هذا الاسم إلا عليه، ولم تسبق هذه الصفة إلا إليه ﷺ، ولهذا سمّاه الله تعالى في كتابه العزيز بالنور دون غيره، وسر ذلك أنَّ الأنبياء إنما تحققوا بهذه الصفة، وهو ﷺ حقيقة هذه الصفة

وكم بين حقيقة الشيء إلى من تحقق به فافهم وتحت هذه المسألة فائدة جليلة لو فتح الله عليك بمعرفتها.

ثم إنه ﷺ أول ما تنزَّل من حضرة الواحدية، إلى حضرة الألوهية، تلقته منها الحضرة العلمية فتشكل بصورة تلك الحضرة العلمية، ولهذا ما تنزل إلى الوجود الكوني كان هو ﷺ صورة القلم المسمى بالعقل الأول، وهذا ورد عنه ﷺ أنه قال "أول ما خلق الله العقل"، وورد عنه ﷺ أنه قال "أول ما خلق الله القلم".

وورد عنه ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه "أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر"، فعلم بذلك اتحاد هذه الثلاثة المعاني وإنَّ اختلافها إنما هو جبهة التعبير فكان ﷺ أول موجود خلقه الله تعالى بلا واسطة، وهذه الروح المحمدية المسماة بالعقل الأول هي مظهر الذات في الوجود فافهم.

ثم خلق الله تعالى بواسطة الروح المحمدية المسماة بالعقل الأول عقلاً كلياً هو مظهر الصفات سماه بالعرش، وهو الذي تسميه الحكماء بالعقل الثاني، وهذا العقل الكلي هو حقيقة روح كل نبي وولي كامل لأنه الظهور الكمالي بالمعنى الأسمائي، والنعت الصفاتي إذ عرشه العظيم عبارة عن الحقيقة الرحمانية التي هي المستوية على العرش المحيط بالعالم المخلوق في نهاية العالم الكوني، فالحقيقة الرحمانية المعبر عنها بالعرش العظيم، والمظهر الكمالي هي عين الأسماء والصفات الإلهية المحيطة بالوجود أعلاه وأسفله، وهذه الحقيقة الرحمانية لما وسعت كل شيء بالرحمة لقوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وسع مجلاها المسمى بالعرش المحيط كل العالم الكوني صورة، ولهذا كان العرش منتهى مقام كل نبي مرسل، أو ملك مقرب ولم يصل فوق العرش أحد غير محمد ﷺ وحده، وسر هذا الأمر كما ذكرت لك إنما هو لعلو محتده ﷺ إذ هو حقيقة النور الذاتي.

والأنبياء من حقيقة النور الصفاتي والذات من وراء الصفات، فاعلم ذلك وتنبه، ثم إنَّ الله تعالى خلق بواسطة هذا العقل الثاني المسمى بالعقل الكلي عقلاً ثالثاً هو مظهر الأفعال وسماه بالكرسي فهو مظهر الأسماء الفعلية.

ومن ثم ورد أنَّ قدمي الحق متدليتان على الكرسي وإنما ذلك عبارة عن أمره ونهيهِ وهذه النفس الكلية هي محتد سائر النفوس الناطقة فظاهرها الكرسي الأعلى وباطنها اللوح المحفوظ، وهو النفس الموجود هذا العقل فيها لظهوره واسمها كما سيأتي ذكره النفس الكلية، ولهذا لم يجد أحد من المخلوقات نسخة العالم كله في نفسهِ إلا الإنسان

لأنَّ اللوح المحفوظ فيه علم كل ما كان، أو هو كائن إلى يوم القيامة فالإنسان يحد ذلك جميعه من حيث إنَّ باطن حقيقته هو المسماة بالنفس الكلية واللوح المحفوظ ويؤمر بالعمل الصالح.

وينهى عن العمل الفاسد لأنَّ حقيقته المسماة بالنفس الكلية هي مظهر الأمر والنهي المعبر عن مجلاه بالكرسي، وهو العقل الثالث، ولهذا لا ينعم النعيم الدائم غيره ولا يعذب العذاب لمقيم سواه، وسر ذلك أنَّ الأسماء الفعلية لا ينقطع ظهور أثرها أبداً، فلهذا ما اختصت آثارها بالبشر دون كل مخلوق وما، ثم من يشاركه في بعض وصفه إلا الملك والشياطين، فالملك نور محض يشاركونه في نعيم القرب دون نقمة البعد والشياطين ظلمة محضة يشاركونه في نقمة البعد دون نعيم القرب لأنَّ مرتبة الجمع المسماة بالكرسي الذي هو محل تدلي القدمين إنما هو محتد الإنسان وحده فافهم.

ثم إنَّ الله تعالى خلق بواسطة هذا العقل الثالث عقلاً رابعاً، وهو روح السماء السابعة، وخلق بواسطة الرابع عقلاً خامساً، وهو روح السماء السادسة، وخلق بواسطة هذا العقل عقلاً سادساً، وهو روح السماء الخامسة، وخلق بواسطة السادس عقلاً سابعاً، وهو روح السماء الرابعة، وخلق بواسطة السابع عقلاً ثامناً، وهو روح السماء الثالثة، وخلق بواسطة الثامن عقلاً تاسعاً وهو روح السماء الثانية، وخلق بواسطة التاسع عقلاً عاشراً، وهو روح السماء الأولى سماء الدنيا، ويسمى هذا العقل بالعقل الفعال جعل الله سبحانه تدبير العالم الأرضي مصروفاً بقدرته تعالى إلى هذا العقل كما جعل تدبير الجسم الحيواني مصروفاً إلى الروح.

ثم أوجد بواسطة هذا العقل الفعال الأركان الأربعة فأول مخلوق منها هو النار ثم الهواء ثم الماء ثم التراب، وتم التدبير بهذه الأربعة مع واسطة العقل الفعَّال بأمر الله تعالى وإرادته وقدرته على حسب ما جرى به القلم الأعلى في اللوح المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه ولا من جهة من الجهات.

وهذه الأربعة الأركان المذكورة هي التي كنى عنها سبحانه وتعالى بالأيام بقوله تعالى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ بالحال فإنَّ السؤال بالحال منوط بالإجابة دون غيره، كما بيَّناه فيما مضى على أنَّ الإجابة التي هي لبيك من الله تعالى واقعة فورياً، والأمر المطلوب إنْ وافق سؤال الحال وقع فورياً أيضاً وإلا أخر إلى أنْ يوافقه سؤال الحال أما في الدنيا وأما في الآخرة.

وأما الأيام التي هي الأربعة الأركان فهي الأركان الأربعة التي جعل الله فيها أرزاق

العالم الأرضي.

واعلم أنَّ الله تعالى أوجد من كل عقل نفساً تقوم بإظهار ما حواه ذلك العقل فيظهر سره بها بل هي على الحقيقة سر ذلك العقل كما خلق حواء من آدم عليه السلام لظهور ما في صلبه من الذرية، فالنفس الأولى الموجودة في باطن العقل الأول هي المسماة بروح الأرواح لإطلاقها الكلي وحيطتها بنسخة الكمالات الإلهية على ما هي عليه، وهي بعينها تسمى بالروح الإضافية المنفوخة في آدم وفي ذريته حال جزئيتها فافهم.

والنفس الثانية الموجودة في العقل الكلي ومنه هي المسماة بالروح الكلية، والنفس الثالثة الموجودة في العقل الثالث، ومنه هي المسماة بالنفس الكلية المعبر عن اللوح المحفوظ بها، وهي محتد للنوع الإنساني كما سبق بيانه.

ولكل سماء من هذه العقول الباقية السبعة نفس هي حقيقة الكوكب الموجود في سماء ذلك العقل فنفس العقل الرابع حقيقة كيوان، ونفس العقل الخامس حقيقة المشتري، ونفس العقل السادس حقيقة بهرام وهو المريخ، ونفس العقل السابع حقيقة الشمس، نفس العقل الثامن حقيقة الزهرة، ونفس العقل التاسع حقيقة عطارد، ونفس العقل العاشر المعبر عنه بالعقل الفعال حقيقة القمر، فالأركان الأربعة آباء وهذا العقل الفعال في الوجود والأرض والمعدن والنبات والحيوان جميعه آباء هذه الأركان الأربعة، وتم نظام العالم بوجود ذلك، وقال الله تعالى ﴿**هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ**﴾، فالأيام هذه التي خلق الله السموات والأرض فيها هي الجهات الستة التي أوجد الله العوالم فيها.

واليوم السابع الذي استوى الله فيه عَلَى العرش هو عدم الجهة الخصوصية له بحال دون غيره فرتب الله الموجودات السفلية بواسطة الأركان الأربعة ورتب الأركان بواسطة هذه العقول المذكورة وترتيب موجودية هذه العقول العشرة كترتيب وجود العدد من الواحد فإنَّ الاثنين مثلاً لا يوجد إلا بوجود الواحد والثلاثة لا توجد إلا بوجود الاثنين وهلم جراً فلا يوجد عدد إلا بعد وجود ما قبله في المرتبة والكل موجودون من الواحد وليس الواحد من العدد لأنَّ كل عدد تضربه في عدد يخرج منه عدد أكثر من مثل أحدهما ولو ضربت جميع الأعداد في الواحد لا يخرج منه شيء لأنَّ الواحد ليس هو بعدد فلو كان عدد الخرج من ضربه في نفسه عدد ولهذا كان العقل الأول الذي هو عبارة، عن حقيقة الروح المحمدية أصلاً لوجود العالم كله عالم الأمر وعالم الخلق فهو عَلَى الحقيقة عند المحققين علة العلل، والله منزَّه أنْ يكون علة لوجود شيء،

سبحانه وتعالى.

وقد علمت بما ذكرناه تفصيل خلقية الوجود من محمد ﷺ فإنَّ سائر الأرواح الجزئية مخلوقة من تلك الأرواح الكلية المخلوقة منها، والأجسام مخلوقة من الأركان المخلوقة منها فهو أول الوجود وآخره.

وعن ذلك أفصح ﷺ بقوله "استدار الوجود في زمانه كهيئته يوم خلق الله السموات". أي كملت الدائرة الوجودية لظهوره ﷺ فيها صورة ومعنى.

ولهذا كان ﷺ الختام المخصوص بمقام الإجلال والإكرام فهو ﷺ كما كان أقرب الخلق وجوداً إلى الحق في الباطن سيكون أعلاهم درجة في الجنة وأقربهم إليه في الظاهر وسمّى الله تلك الدرجة التي وعده بها بالوسيلة، وما الوسيلة في المعنى إلا السبب فهو في الابتداء سبب وجود الخلق، ودرجته من الانتهاء الوسيلة لأنهُ سبب قرب الخلق إلى الحق فحصل له القرب الصوري والمعنوي، وكمل له علو المكان وعلو المكانة.

ولهذا كان ﷺ أكمل العالم وصفاً وأعظمهم خلقاً، وأتمهم في الاعتدال صورة ومعنى وخلقاً وخلقاً وهذا موضع ذكر ذلك والله الموفق.

(الباب الثالث في كمال خلقته واعتدالها وظهور جمالها وجلالها ظهراً وبطناً، وصورة ومعنى ﷺ ما هدر الورق وغنى، وهَبَّ النسيمُ وهنا).

اعلم أيدنا الله والجميع بروح القدس، وجمعنا إياكم في حضرة الأنس، أنَّ الوجودالمطلق بالنظر إلى مراتبه ومفرداته الموجودة ينقسم إلى قسمين قسم لطيف كالمعاني، والأخلاق، والأرواح وأمثالها وقسم كثيف كالصور، والأشكال والأجسام، وأمثالها، وكل من هذين القسمين يتفرع إلى طرفين طرف أعلى من الوجود وطرف أدنى.

فالطرف الأعلى المعنوي كما تحقق والتخلق بالصفات الإلهية، وكالأخلاق المحمدية المحمودة في الإنسان وجميع مراتب الكمالات معنوية، وهذا العلو يسمى علو المكانة ونهايتها لا تكون في الوجود الكوني بل نهايتها عند الله لمن أرادَ الله تعظيمه عنده، والطرف الأدنى الصوري هو الأفعال الحسية الصالحة المشهودة، والصور الحسية الموجودة والأشكال اللطيفة والأماكن العلية المنيفة، وهذا العلو الصوري يسمى علو المكان وأعلى المكانات الجنة وهي متفاوتة في العلو وأعلى درجاتها الوسيلة، كما قد أخبر ﷺ وأخبر "أنَّ الله قد وعدهُ بها فهوَ ﷺ مخصوص بعلو المكان الوجودي

الصوري كما أنهُ مخصوص بعلو المكانة إذ لا أحد أعظم قدراً عند الله تعالى منه كما قد أخبر في الحديث النبوي حيث يقول له الحق: وخبأتُ لك شيئاً عندي، ولم أخبئه لنبي غيرك"، ولهذا قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم اكمل الله الشرف لمحمد ﷺ عَلَى أهل السموات والأرض.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ "ثم أقوم عن يمين العرش، وليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري"، وأول هذا الحديث هو ما جاء في الحديث المروي، عن أنس رضي الله عنه حيث يقول: قال رسول الله ﷺ "أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر".

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه في لفظ هذا الحديث "وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصبتوا، وأنا شفيعهم إذا حبسوا لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي".

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا اول من تنشق عنه الأرض ولا فخر".

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ "ألا وأنا حبيب الله".

وله في رواية عنه ﷺ "أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر".

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنهُ قال "أتاني جبريل فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ﷺ".

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إني عبد الله وخاتم النبيين وإنَّ آدم لمنجدل في طينته، وأنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين".

والأحاديث في أكمليته، وإحاطته بجميع الكمالات صورة ومعنى كثيرة لا تحصى فاكتفيت من ذلك بما أوردناه إذ لا منازع في أكمليته ﷺ، ولا مدافع فله علو المكانة المعبر عنها بحقائق الأسماء والصفات وله علو المكان المعبر عنه بالوسيلة، والمقام المحمود، فهو ﷺ أعلى الموجودات مكانة ومكاناً فاختص ﷺ بغاية العلو الوجودي صورة ومعنى، وهذا هو الطرف الأعلى المعبّر عن المكان والمكانة بجانبه من طرف

الوجود.

والطرف الثاني هو الطرف المعبر عن جانبه بسقوط المكانة والمكان، وذلك حظ إبليس وجنده، وهم الأشقياء كما مضى بيانه في الجزء الذي هو قبل هذا الجزء من كباب النإموس الأعظم والناموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ فلنقبض عنان القول عن إعادة ما مضى ولنتكلم على ما نحن بصدده من دلائل إحطاته ﷺ بالأكملية وترقيه في العلو الوجودي مكاناً ومكانة صورة ومعنى، فنجعل الكلام في هذا الباب على فصلين.

(الفصل الأول) في الكمال المعنوي الذي هو الشاهد له ﷺ بعلوّ المكانة عند الله تعالى.

اعلم أيدك الله تعالى وإيانا بروح منه ولا أخلى الجميع في نفس عنه أنَّ الكمال المعنوي ينقسم إلى قسمين فقسم كمالي إلهي يتحقق به الكمل رضوان الله عليهم، كما قال ﷺ: **"ارتقوا بأخلاق الله"**.

وكمال كوني يتخلق به الإنسان، وهي الصفات المحمودة التي مجموعها مكارم الأخلاق ولا شك ولا خفاء أنهُ لا يجمع أحد من خلق الله ما كان عليه محمد ﷺ من مكارم الأخلاق لأنهُ متممها حيث يقول ﷺ "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، فمنه ابتدأت، وبه اختتمت وتمت، ولهذا قال الله تعالى له في حقه **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**.

وكتب السير المروية عنه ﷺ مشحونة بمكارم أخلاقه الفائضة من طيبات أعراقه، وهي لا تحصى كثرة بل والله إنَّ كل ما ورد عنه من مكارم الأخلاق التي له هي كالقطرة إلى البحر بالنسبة إلى ما لم يرد ولم يحك عنه ﷺ، وهي له حقيقة وتحقيقاً فما ورد يسير في جنب ما لم يرد عَلَى أنَّ ما ورد لا يجمعه هيكل سواه ولم يحظ به أحد غيره ﷺ، وقد علمت بذلك كماله الخلقي.

وأما كماله الحقي الذي قد حباه الله تعالى به فأعظم من أنْ يدرك له غور، أو يعرف له غاية إذ كان ﷺ متحققاً بجميع الأخلاق الإلهية، وقد اوردت ذلك صفة صفة واسماً اسماً في كتابنا الموسوم بالكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، وسأذكر من ذلك ما دلَّ عليه الكتاب العزيز تصريحاً، أو إشارة وتلويحاً.

فمن ذلك اسم **﴿الله﴾**، والدليل عَلَى أنهُ ﷺ كان مظهراً لهذا الاسم قوله تعالى **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ الله رَمَى﴾**، وقوله تعالى **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله﴾**،

وهذا معنى قوله ﷺ "أنا عبد الله"، وهذه العبودية الخاصة به عبارة عن تسميته باسم ربه لتخلقه بأخلاقه ﷺ.

ولا يستبعد هذا الأمر في تعظيم الله له إذ ذاك لا يطعن بالحق تعالى وماذا ينقص هذا في الكمال الإلهي أليس الله تعالى قد سمّاه صريحاً بأسماء كثيرة من أسمائه تعالى ومن ذلك اسمه.

﴿النور﴾، وهذا الاسم اسم ذاتي قال الله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ﴾. يعني محمداً ﷺ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾. يعني القرآن.

ومن ذلك اسمه ﴿الحق﴾، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ﴾ وقال تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾. يعني محمداً ﷺ.

ومن ذلك اسمه ﴿الرؤوف واسمه الرحيم﴾، قال الله تعالى في حقه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

ومن ذلك اسمه. ﴿الكريم﴾. قال الله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾. يعني محمداً ﷺ.

ومن ذلك اسمه ﴿العظيم﴾، قال الله تعالى﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، والخلق هو الوصف، فوصفه بالعظمة، وهي لله وحده.

ومن ذلك اسمه ﴿الشهيد واسمهُ الشاهد﴾ قال تعالى في حق نفسه حكاية، عن قول عيسى عليه السلام له تعالى ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وقال في حق محمد ﷺ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيكمْ شَهِيداً﴾.

وقد ذكر القاضي عياض رضي الله تعالى عنه أنَّ الله تعالى سمّى محمداً باسمه الجبار، وباسمه الخبير، وباسمه الفتاح، وباسمه الشكور وباسمه العليم، وباسمه العلام، وباسمه الأول، وباسمه الآخر، وباسمِهِ القويّ، وباسمه الولي، وباسمه العفو، وباسمه الهادي، وباسمه المؤمن، وباسمه المهيمن، وباسمه الداعي، وباسمه العزيز إلى غير ذلك من الأسماء الإلهية المخصوصة بالحق، وأقام دليل كل اسم من ذلك من القرآن العزيز حيث لا يدافعه مدافع، ولا يجد مدخلاً إليه منازع فاكتفي من ذلك بذكر هذا القدر إذ لا خلاف عند المحققين انهُ ﷺ متصف متحقق بجميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالغ في ذلك من الكمال مبلغاً لا ينبغي لأحد من المخلوقين سواه ﷺ وعَلى آله وصحبه وسلم.

وقد تحققت علماً بما ذكرته أنهُ ﷺ صاحب علوّ المكانة عند الله تعالى حشرنا الله

تعالى في زمرته، وجعلنا من أهل محبته.

(تنبيه) اعلم أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وكلامه سبحانه صفته لأنَّ الكلام صفة المتكلم، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن ـ تعني النبي ﷺ فما أعرفها به انظر كيف جعلت صفة الله تعالى خلقاً لمحمد ﷺ لاطلاعها منه على حقيقة ذلك، وقال الله تعالى في القرآن ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، وهو عَلَى الحقيقة قول الله تعالى، فانظر إلى هذا التحقق العظيم بصفات الله تعالى حيث أقامه مقامه في صفاته وأسمائه ومقام الخليفة مقام المستخلف فتأمل هذه النبذة فإنَّ تحتها سراً شريفاً أطلعنا الله وإياك على حقيقة ذلك.

(الفصل الثاني في ذكر الكمال الصوري) الشاهد له ﷺ يتحقق علوّ المكان عند الله تعالى، وهذا الكمال ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول ذاتي، والقسم الثاني فعليّ كالصلاة، والصيام، والصدقة، وأمثالها، والقسم الثالث قولي كالكلمة الطيبة والإهداء إلى غير ذلك، وها أنا أذكر جميع ذلك إنْ شاء الله تعالى.

(القسم الأول) أما ذاته الشريفة ﷺ، فإنها كانت أجمل الذوات، وأكملها وأفضلها، وأنورها وأطهرها، وصورته أجمل الصور وأحلاها وأزكاها، وفي الحديث أنه ﷺ "كان أملح من يوسف عليه السلام".

وورد في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها "أنها كانت مع رسول الله ﷺ عَلَى فراشه في ليلة مظلمة فسقط من يدها إبرة إلى الأرض فكشفت عن وجه رسول الله ﷺ فوجدتها بنور جبينه فرفعتها".

وفي الخبر، عن هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه قال "كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه أو هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه ومن له يتأمله أشم كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأنَّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري البدن مما سوى ذلك أشعر المنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف سبط الراحة خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو

عنهما الماء إذا زال زال تقلعاً يخطو تكفؤاً ويمشي هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم النعمة، ولا يذم شيئاً لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تُعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها، واذا تحدث اتصل بها يضرب بإبهامه اليمنى راحة اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام".

هذا حديث جامع في صفة حِليته واعتدالها، وكمال نشأته الظاهرة الكاملة التي أجمع الحكماء من أهل الفراسة أنَّ كل حلية من هذه المذكورات دالة عَلَى معنى الكمال، فهو أكمل خلق الله صورة وأعدلهم نشأة لأنه ﷺ هو الموجود الأول الذي هو في غاية الإعتدال كمالاً وجمالاً وبهاءً وسناءً، ولهذا كان كل من قارب هذه الخلقة الشريفة في الاعتدال أكمل من غيره بقدر ما أوجد الله تعالى فيه من هذه الصفات المعتدلة الكاملة الخلقة الدالة على شرف الذات صورة ومعنى.

(تنبيه) إنما أوردت لك ذكر هذه الخلقة الشريفة لتصورها بين عينيك وتلحظها في كل ساعة حتى تصير ممثلة لك لتكون حينئذٍ في درجة المشاهدين له ﷺ فتفوز بالسعادة الكبرى وتلحق بالصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين فإنْ لم تستطع ذلك على الدوام فلا أقل من أنْ تستحضر هذه الصورة الشريفة بما لها من الكمال عند الصلاة عليه ﷺ.

(القسم الثاني) أما أفعاله ﷺ الزكية، وأحواله الرضية فقد امتلأت الصحف بها وشهدت الأكوان بحسنها وكمالها وناهيك من رجل كل العالم في ميزانه فإنهُ الذي أسس لهم طرق الهداية.

وأخرج الخلق من الغواية وسنَّ الحلال والحرام، والصلاة والصيام وكل خير يوجد بين الأنام "ومن سنَّ سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"، فله ﷺ أجر جميع الخلق بل الكل قطرة في ميزانه بل الكل قطرة من بحره لأنهُ الأصل وهم الفرع ويكفي هذا القدر من ذكر جميل أفعاله ومليح أقواله، وأحواله ﷺ التي هي أظهر من الشمس ويكفيك ما ورد من ورم أقدامه لطول قيامه ﷺ على أنهُ مغفور له ومن

شدَّة الحجر عَلَى بطنه الشريف من شدة الجوع، وقد أوتي مفاتيح خزائن الأرض، وقال له جبريل أمرت أنْ اجعل لكَ جبال الأرض ذهباً فأبى ﷺ، واختار الفقر نصيباً، وأُتي ﷺ بمال من البحرين ذهباً وقيل: إنهُ كان يغرق فيه الرمح فصبَّه بين يديه وفرَّقه جميعه، ولم يحمل منه إلى بيته شيئاً ولبيته نيف من شهرين لا يوقد فيه نار لطعام بل كان على الأسودين التمر والماء وصفاته الظاهرة أعلى من أنْ تخفى عَلَى احد فلنكتف بهذا القدر والله المستعان.

(القسم الثالث في أقواله المفصحة عن مليح أحواله ﷺ) وهذا القسم أيضاً لا يحتاج إلى تطويل إذ جميع كتب الإسلام مشحونة من تلك الأقوال الشريفة وناهيك بعظم مكان قوله حيث قال الله تعالى في القرآن عن القرآن الذي هو كلام الله تعالى **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾**، وذلك لأنهُ ﷺ الناطق به عندهم، وقد صحَّ أنَّ كلامه من كلام ربه، وقال الله تعالى عنه ﷺ **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾**، فانظر إلى أي كلمة شئت من حديثه ﷺ تجد فيه مجامع المحاسن من كل جهة، وبكل حقيقة إذ هداية الخلق مقرونة بأقواله فلم يدع خيراً إلاَّ وقد هدى الأنام إليه، ولا ترك فضيلة إلا وقد نبَّهَ عليها، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين لأنهُ قد أحاط بالتنبيه عَلَى كل دقيقة وحقيقة، وأوضح بنوره كل طريقة، فلم يحتج الكون إلى مرشد سواه ﷺ.

(الباب الرابع في تمييز قابليته ﷺ من قابلية كل موجود سواه وبيان نسبة قطرات الوجود من بحر علاه) اعلم أيدنا الله وإياك أنَّ الفيض الإلهي إنما يكون على قدر القوابل أما ترى الشمس تظهر في المرآة بشعاعها حتى لا يكاد الشخص أنْ يستطيع النظر إلى المرآة، وتظهر في بقية الجمادات بغير هذا المظهر.

وكذلك إذا نظرت في المرآة المعتدلة الهيئة ظهر وجهك فيها على ما هو عليه وإذا نظرت في مرآة مستطيلة ظهر وجهك فيها طويلاً، وفي العريضة عريضاً، وفي الصغيرة صغيراً، وفي الكبيرة كبيراً، فعلم بذلك أنَّ الفيض على قدر القابلية لأنَّ الله تعالى حكيم لا يضع الأشياء إلا في مواضعها.

وقد ذكرنا فيما مضى تفصيل القابلية، فظهور الحق تعالى في المخلوقات على قدر قوابلهم بل ظهوره في أسمائه وصفاته على حسب ما تقتضيه قوابلها إذ ليس ظهوره في اسمه المنعم كظهوره في اسمه المنتقم، وليس ظهوره في النعمة كظهوره في النقمة، فالظاهر واحد والظهور مختلف لاختلاف المظاهر.

وقد علمت بما مضى أن ظهور الحق في المظاهر بقدر القوابل وأنَّ قوابل الأشياء

تتعلق بمحاتدها التي ظهرت منها، فالنعمة مخلوقة والنقمة مخلوقة فهما مظهران مخلوقان فمحتد النعمة اسم المنعم، ومحتد النقمة اسم المنتقم، وهما اسمان إلٰهيان فهما مظهران قديمان لأنَّ صفات الله تعالى قائمة بذاته، وقد شرحنا لك فيما سبق أنَّ كل شيء في العالم إنما هو أثر أسمائه وصفاته، فكل فرد من أفراد العالم له محتد من أسماء الله تعالى وصفاته، وقد عرفناك في أوائل الكتاب أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من أسمائه الذاتية، فهي محاتدهم والأولياء خلقوا من أسمائه الصفاتية فهي محاتدهم، وبقية الموجودات مخلوقة من صفاته الفعلية فهي محاتدهم، ورسول الله ﷺ مخلوق من ذاته، فمحتده الذات.

ولهذا كان ظهور الحق تعالى عليه بالذات ألا تراه انفرد دون غيره بجميع الكمالات الإلهية لأنَّ الصفات ترجع إلى الذات، ولهذا نسخ دينه سائر الأديان لأنَّ الصفات لا تشهد بعد بروز الذات بل يبقى علمها ولأجل ذلك بقيت نبوة الأنبياء على حالها وما انتسخ إلا أديانهم فنسبة القابلة المحمدية كنسبة البحر ونسبة قوابل الأنبياء عليهم السلام، والأولياء رضوان الله تعالى عليهم كالجداول والأنهار، ونسبة قوابل بقية العوالم كالقطرات من ذلك البحر، وسبب ذلك أنَّ محمداً ﷺ مجموع العوالم لأنَّ روحه العقل الأول كما شرحناه لك فيما مضى.

وقد علمت أنَّ العالم كله مخلوق منه ﷺ فقابليته وحده بقوابل سائر الموجودات فهو المستفيض الأول والمفيض الثاني لأنَّ الفيض الأقدس الذاتي متوجه إليه بالتوجه الأول ومنه يتوجه إلى بقية المخلوقات بقدر قوابلهم فهو كل الوجود وله كل شيء، وما أحسن قول الإمام عبدالله اليافعي رضي الله تعالى عنه في مدحه ﷺ حيث يقول:

يا واحدَ الدهرِ يا عينَ الوجود ويا ... غوثَ الأنام وهادي كل حيرانِ

ولما كانت قابليته ﷺ كلية وقابلية سائر الأكوان من المرسلين والنبيين، والملائكة المقربين، وسائر الأولياء والصديقين، وغيرهم من المؤمنين الصالحين، وسائر الأكوان جزئية كانت قاصرة بالصبع عن درك شأوه المنيع، عاجزة عن اللحوق بشأنه الرفيع، ولما علمت ذلك الأنبياء والأولياء وضعت الرؤوس خضوعاً على باب عزه العالي، وحطّتْ رقابها عَلَى أرض المذلة لمنجده الشامخ السامي، وذلك معنى أخذ الله تعالى على الأنبياء العهد لتؤمنن به ولتنصرنه قال الله تعالى **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾**.

على انهم في الحكم تابعون له ﷺ والأولياء تابعون له لا متبوعين، فالأولياء تابعون له ﷺ صورة، ومعنى عيناً وحكماً فمن وفق الله تعالى له أنْ يلحق قطرته ببحر الحقيقة المحمدية فاز بالسعادة الأبدية الكبرى وحق له أنْ يقول ما قاله الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: ما رفع النبي ﷺ قدماً إلا وضعت قدمي موضع قدمه إلا قدم النبوة العظمى، والمكانة الزلفى والوسيلة الكبرى فإنهُ مخصوص بها ﷺ فاجتهد أنْ تلحق به وفقنا الله تعالى وإياك لذلك.

(الباب الخامس في سر تسميته ﷺ بالحبيب وبيان الحركة الحبيبية التي هي محتد اسمه ليعرفه البعيد والقريب ﷺ) اعلم أيدنا الله تعالى وإياك، ولا أخلانا من جوده ولا خلاك، إنه ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهُ قال جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إنَّ الله تعالى اتخذ من خلقه خليلاً، وقال آخر: ماذا أعجب من كلام موسى كلَّمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلَّم، وقال ﷺ: **"سمعت كلامكم وعجبكم أنَّ الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وهو كذلك، وموسى كلمه الله تكليماً، وهو كذلك، وعيسى روح الله، وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى، وهو كذلك وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمدي يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ولا فخر، فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين من أمتي، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر"**.

اعلم أنَّ هذا حديث جامع مصرِّح بكماله وأفضليته على كل الكملاء والفضلاء صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين، وقد مضى بيان بعض علو مكانته ﷺ وسأنبئك عن سر تخصيصه ﷺ باسم الحبيب لتعلم أنَّ المقام الحبي أعلى المقامات الكمالية وذلك أنه ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنهُ قال حاكياً عن الله تعالى **"كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني"**، فكان التوجه الحبي أول صادر من الجناب الإلهي في إيجاد المخلوقات، فالحب لبقية مقامات الكمال أصل، وهي له كالفروع ولأجل أنَّ المقام الأول الأصلي كان مخصوصاً بالموجود الأول الأصلي فجميع الحقائق الإلهية إنما ظهرت بواسطة الحب إذ لولا ذلك ما وجد الخلق، ولولا الخلق لما عرفت الأسماء والصفات والخلق إنما ظهروا بواسطة الروح المحمدي كما سبق بيانه فلولا الحقيقة المحمدية لم يكن خلق ولولا الخلق لم تظهر صفات

الحق لأحد فلولا الحقيقة المحمدية لما عرف الله مخلوق ولا ظهرت صفاته لأحد إذ لا أحد.

فالحب هو الواسطة الأولى لوجود الموجودات، ومحمد ﷺ هو الواسطة الأولى لظهور الموجودات كما بيناه فيما سبق، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال "**إنَّ الله تبارك وتعالى قال له في ليلة المعراج لولاك لما خلقت الأفلاك**"، فعلم بذلك أنَّ محمداً ﷺ هو الذي كان المقصود بالتوجه الحبي للمعرفة بالكنز المخفي وأنَّ جميع ما سواه كانوا عطفاً عليه، فهو الأصل في مقصود الحب الإلهي وغيره كالفرع له فمن أجل ذلك خصَّهُ الله تعالى باسم الحبيب دون غيره وإنما أحب الله تعالى أمته الذين اتبعوه لقوله ﴿**قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله**﴾ لأنهم مخلوقون منه، كما قال ﷺ "أنا من الله والمؤمنون مني".

وهذه خصوصية من الله تعالى لأمة محمد ﷺ دون غيرهم من سائر الأمم، فإنَّ الله تعالى أنكر عَلَى من ادعى من الأمم الماضية أنهم أحباء الله وأثبت المحبة لأتباع محمد ﷺ لأنَّ كل أمة مخلوقة من نبيها ولا حبيب إلا محمد ﷺ فاختصت أمته بمحبة الله تعالى دون غيرهم.

واعلم أنَّ الحب على الإطلاق له تسع مراتب في الخلق ومرتبتان في الحق.

(**المرتبة الأولى**) في الحق تسمى الحب باسمه ما لم تكن حركة لظهور إثرها فإذا حصلت تلك الحركة سمي الحب إرادة فالحب الحقيقي والإرادة الحقيقة لله تعالى، ومراتب الحب في الخلق أولها الميل، وهو انجذاب القلب إلى المطلوب فإذا زاد سمي رغبة، فإذا زاد سمي طلباً، فإذا زاد سمي ولهاً فإذا اشتد ودام سمي صبابة فإذا قوي، واسترسل بالقلب في المعنى المراد سمي هوى، فإذا استولى حكمه على الجسد بحيث أنْ يفنى المحب عن نفسه سمي شغفاً، فإذا نما وظهرت علاماته بحيث أنْ يفنى المحب عن نفسه، وعن فنائه سمي غراماً، فإذا استحكم وطفح وظهر وتمكن تمكناً أفنى المحب عن نفسه، وعن حبيبه أيضاً بحيث يبقى الأمر شيئاً واحداً، وهو الحب المطلق سمي عشقاً.

وهذه آخر مقامات الخلق فيه فيصير المحب في هذا المقام حبيباً والحبيب محباً فيتلون كل منهما بصورة الآخر، وذلك أنَّ العاشق قد تمكنت روحه بصورة المعشوق فتعلقت بتلك الصورة الروحانية تعلق التمازج كما يتعلق الزاج بالعفص فيستحيل الفك والمفارقة والانفصال بينهما كما قيل:

رقَّ الزجاجُ وراقت الخمر … فتشابها فتشاكلَ الأمرُ

فكأنما خمرٌ ولا قدح وكأنما قدح ولا خمرُ

فهذه المراتب التسعة هي للخلق حقيقة لا يقال أنها لله إلا من حيث إنَّ وجود الخلق لله تعالى.

وأما الحب والإرادة فهما لله تعالى حقيقة قال الله تعالى ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾، وقال تعالى في الحديث القدسي "**لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافلْ حتى أحبه**" . وقال تعالى ﴿**إِنَّمَا أَمْرُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾، فالحق سبحانه وتعالى يحب ويريد، فالحب والإرادة من شؤون الله تبارك وتعالى.

وللحب مرتبة أخرى تظهر في الحق والخلق، ولهذا تسمى المرتبة الجامعة، وهي مرتبة الودّ فإنَّ الله يسمَّى الودود فهو يود من يشاء من خلقه، والخلق يودونه فالود مرتبة مشتركة تظهر بالقدم في القديم، وبالحدوث في المحدث، والمودة من خصائصها الإشتراك لوقوعها من الجانبين، ولهذا قال الله تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾، فالمودة تكون من الجانبين فهي اسم للمحبة إذا ظهرت من المحب والمحبوب لأنَّ الشيء إذا كان بين اثنين لا يختص به واحد دون الآخر بل هما مشتركان فيه فالود يشترك فيه كل واحد من الزوجين فإذا صار كل منهما محباً للثاني محبوباً له كانت المحبة والمودة بينهما ظاهرة، وهو نهاية مراتب العشق في الظهور لأجل وقوعه من الجانبين فقط وإلا فلا شيء في الخلق أعلى مرتبة من ظهور العشق إذ هو نار الله الموقدة فافهم والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

(الباب السادس). في كيفية التعلق بجنابه، والعكوف على بابه ﷺ اعلم وفقنا الله وإياك للوقوف ببابه، والعكوف بجنابه، وإنَّ الله تعالى لما أحبه جعله شفيعاً لخلقه إليه يوم القيامة وليس لأحد من الخلق عموم الشفاعة سواه وسر ذلك أنَّ الأنبياء لم يبعثوا إلى كافة الخلق وإنما بعث إلى كافة الخلق محمد ﷺ فهو مقدمهم وراعيهم، وكل راع مسؤول عن رعيته، فأوجب الله تعالى عليه الشفاعة لهم والقيام بمصالحهم دنيا وأخرى، وما أوجب الله تعالى عليه إلا ما وفقه للقيام به فمن أجل ذلك وعده بالوسيلة التي هي المقام المحمود يوم القيامة، وليست الوسيلة في المعنى إلا الواسطة للوصول إلى المطلوب وهي الشفاعة.

ولهذا المعنى منزلة صورية في الجنة المسماة بالفردوس الأعلى وهي أرفع منازل لجنان يكون هو ﷺ فيها ليحوي الكمال صورة ومعنى ظاهراً، وباطناً كما سبق بيانه في

أوائل هذه الرسالة، فلما كان ﷺ واسطة الجميع في البداية لأجل الظهور كان واسطتهم في النهاية لأجل النعيم المقيم.

فليس في الأزل والأبد وسيلة ولا واسطة ولا علة لوجودك ووجود كل خير لك، ولكن موجود أحد سواه ﷺ فمن الأولى أنْ تتعلق بجنابه وتعتكف على بابه ليحصل الميل من الجهتين فيسرع الوصول إلى المقصود ألا تراه ﷺ قال للأعرابي الذي تمنى عليه أنْ يكون رفيقه في الجنة "أعني على نفسك بكثرة السجود" فقوله ﷺ: أعني دليل على أنهُ أحب أنْ يشفع له إلى الله تعالى أنْ يكون رفيقه في الجنة ولكنه أراد أن يكون الجذب من الجهتين ليسرع وصوله إلى ذلك فأمره أن يعينه على نفسه بالسجود ليتحقق بالمقصود أكمل تحقق.

ولهذا كان دأب الكمل من الأولياء رضوان الله عليهم أنْ يتعلقوا بجنابه ويحطوا جباههم على بابه ﷺ ولم يزل ذلك دأبهم ودأب كل من أراد الله تكميله حتى أنهم رضي الله عنهم إذا حضروا في بعض الحضرات الإلهية التي يمكنهم أنْ لا ينظروا فيها إلى محمد ﷺ أسرعوا إلى توجيه المشاهدة للأنوار الإلهية نحو الجناب المحمدي وصرفوا إليه كلمة الحضرة الإلهية، وذهلوا عن كل ما تقتضيه حقائقهم من الكمالات الإلهية تأدباً معه ﷺ فيحصل لهم ببركة هذه الحالة من الزيادة ما لا يمكن شرحه، وذلك أنهُمْ يسمعون ويشهدون حينئذ بالسمع والبصر المحمدي ما هو مناسب للقابلية المحمدية التي ليس في ذات احد قوتها فيخلع عليهم إذ ذاك من الخلع المحمدية ما لا يمكن حصولها إلا بهذه الطريقة.

ومن ثم قال شيخنا الشيخ أبو الغيث بن جميل: خضنا بحراً وقف الأنبياء عَلَى ساحله. يعني بذلك بحر الشريعة التي هي مخصوصة بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولهذا من تحقق بالسنة المحمدية ظاهراً وباطناً خاض بحر الحقيقة المحمدية التي خاضها هو وأمثاله بكمال الإتباع المحمدي صورة ومعنى لأخذه الأشياء من الله تعالى في بعض الحضرات بالقابلية المحمدية كما سبق بيانه.

فإذا علمت ذلك وتحققته فالزم سبيل جنابه، ولازم الوقوف ببابه ﷺ، فإنْ قلت لا أدري كيف هذا التعلق والملازمة بهذا الجناب العظيم والنبي الكريم ﷺ، قلنا إنَّ التعلق بمحمد ﷺ على نوعين.

(النوع الأول) هو التعلق الصوري بالجناب النبوي وهو عَلَى قسمين.

(القسم الأول): هو الاستقامة على كمال الإتباع له بمواظبة ما أمر به الكتاب والسنة

قولاً وفعلاً واعتقاداً على ما هو عليه أحد الأئمة الأربعة، وهم أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل رضي الله عنهم، إذ قد وقع اجماع العلماء المحققين بأنَّ هؤلاء المذكورين من الأئمة هم أهل الحق، وهم الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى يوم القيامة.

ومن كمال هذا القسم من الإتباع الصوري أنْ نعتمد فعل عزائم الأمور ولا تركن إلى الرخص فإنَّ الله تعالى أمر النبي ﷺ بارتكاب العزائم في قوله تعالى: **﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾**، فأمره أنْ يصبر صبراً كصبر أولي العزم دون غيرهم، وقيل: إنهم خمسة صلوات الله عليهم، وهم المذكورون بالتصريح في هذه الآية وهي **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا ٱلدينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾** فنوح وإبراهيم وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أولو العزم من الرسل، فينبغي للتابع الكامل الإتباع أنْ يأتي بعزائم الأمور، ولا يركن إلى التسهيل ولا يقف مع الرخص ولا مع ما أمر به ونهى عنه فإنَّ ذلك مقام الإسلام ونحن نطلب لك ما نطلبه لأنفسنا من مقامات القربة والصديقية، ومن شرطها اتباع النبي ﷺ في ارتكاب عزائم الأمور.

ولن تقدر على ذلك كما ينبغي إلا بعد معرفة النفس ودسائسها وعللها ولا يعرف ذلك إلا بواسطة شيخ من أهل الله تعالى يدلك على ذلك جميعه، ويعرِّفك ما هو اللائق بك في كل زمان من الأعمال والأحوال ألا ترى أنَّ النبي ﷺ كان في بدايته يتحنث في غار حراء الأيام الكثيرة فلما انتهى وعظم شأنه ترك التحنث في الغار، وبقي مع أصحابه طول السنة ما خلا العشر الأخيرة من شهر رمضان، ولا يتحقق للطالب معرفة ما هو اللائق به إلا بواسطة شيخ مرشد بدله على ذلك جميعه أو بواسطة جذب إلهي كاشف له عن ذلك وليس لنا مع المجذوب كلام وكلامنا معك أيها العاقل الطالب للإتباع المحمدي فينبغي لك أنْ تطلب شيخاً مرشداً يدلك على معرفة الله تعالى بتعريفه لك بنفسك، فإذا وقعت عليه فلا تخالف أمره ولا تفارق وضعه ولو قطعك البلاء إرباً إرباً، واحذر أنْ تعصيه، أو تكتمه شيئاً من أمرك فلو قضى الله عليك بمعصية ينبغي لك أنْ تعرض لشيخك بعلم ذلك ليسعى في دفع المقتضى لذلك بمداواتك بما يعرفه من أمرك، أو بالشفاعة والالتجاء إلى الله تعالى في حقك ليزيل عنك وخامة تلك الزلة، فإذا لم يتفق لك الوقوع على رجل من أهل الله تعالى، فالزم طريق أهل الله تعالى وجملة الطريق إلى الله تعالى أربعة أشياء أحدها فراغ القلب عن الميل إلى ما سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة.

الثاني . الإقبال على الله تعالى بالكلية بالقصد والمحبة والمنزهة، عن العلل من غير فتور ولا التفات ولا ملل ولا طلب عوض.

الثالث . دوام المخالفة للنفس في كل ما تطلبه من الأمور التي تتعلق بمصالحها دنيا واخرى وأعظم المخالفات للنفس ترك ما سوى الله تعالى نظراً واعتقاداً وعلماً.

الرابع دوام ذكر الله تعالى بالنظر إلى جمال الله وجلاله سواء كان ذكر اللسان، أو ذكر القلب، أو ذكر الروح، او ذكر السر او ذكر الجملة، وقد شرحناها في كتاب غنية أرباب السماع في كشف القناع، عن وجوهات الأسماع فمن أراد معرفة ذلك فليطالع هنالك والله الموفق لا رب غيره ولا معبود سواه.

(القسم الثاني من النوع الأول) الذي هو التعلق الصوري هو أنْ تتبعه ﷺ بشدة المحبة له حتى ان تجد ذوق محبتك له في جميع وجودك فإني والله لأجد محبته ﷺ في قلبي وروحي وجسمي وشعري وبشري كما أجد سريان الماء البارد في وجودي إذا شربته بعد الظمأ الشديد في الحر الشديد، هذا وإن حبه ﷺ فرض واجب على كل أحد قال الله تعالى ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾.

وقال ﷺ "**لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده**"، فإذا لم تجد هذه المحبة التي وصفتها لك، فاعلم أنكَ ناقص الأيام فاستغفر الله تعالى وتضرع إليه وتب من ذنوبك وتولّع بدوام ذكر النبي ﷺ والتأدب معه والقيام بما أمر مع اجتناب ما نهى لعلك تنال ذلك فتحشر معه لأنهُ ﷺ القائل "المرء مع من أحب".

يقول مسوّد هذه الرسالة العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الكيلاني نسباً البغدادي أصلاً الربيعي عرباً الصوفي حسباً إني أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه، ورسله وجميع خلقه إني أحب محمداً رسول الله ﷺ مؤثراً له على نفسي وروحي ومالي وولدي وأجد لمحبته في قلبي وجسمي وشعري وبشري سرياناً ودبيباً محسوساً لا ينكر ممن حصل له ذلك، وأنا أستودع الله تعالى هذه المحبة لنبيه ﷺ ليحفظها إلى يوم القيامة. وبعد أنْ ألقاه إنهُ على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وقد علمت بما ذكرته لك أنَّ النوع الأول الذي هو التعلق الصوري بالجناب النبوي ﷺ إنما هو القيام على ظاهر الشريعة وسلوك عزائم الطريقة والاسترسال في محبته بالكلية، وبالتعظيم لشأنه ﷺ في السر والعلانية، ومن جملة التعظيم لشأنه ﷺ أنْ نتأدب مع أصحابه، وأهل بيته بالمحبة والتعظيم والإيثار لهم عليك وأنْ تتأدب مع كافة أهل

الله فإنهم أقرب الناس إلى النبي ﷺ فإنَّ سوء الأدب مع أهل الله موجب للبعد عن الله تعالى فالله الله في محبتهم والتأدب معهم حق التأدب، والله الموفق الهادي.

(النوع الثاني هو التعلق المعنوي بالجناب المحمدي ﷺ) وهو أيضاً على قسمين.

(القسم الأول) هو دوام استحضار صورته ﷺ التي سبق حِليتها في الذهن والتأدب لها حالة الإستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة فإنْ لم تستحضر تلك الصورة البديعة المثال، وكنت قد رأيته وقتاً ما في نومك فاستحضر الصورة التي رأيتها في النوم فإنْ لم تكن رأيته ولم تستطع أنْ تستحضر تلك الصورة المشخصة الموصوفة بعينها فاذكره وصل عليه ﷺ وكن في حال ذكرك له كأنك بين يديه في حياته متأدباً بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء فإنهُ يراك ويسمعك كلما ذكرته لأنهُ متصف بصفات الله تعالى والله جليس من ذكره، فللنبي ﷺ نصيب وافر من هذه الصفة لأنَّ العارف وصفه وصف معروفه، وهو أعرف الناس بالله تعالى فإنْ لم تستطع أنْ تكون بين يديه بهذا الوصف، وكنت قد زرت يوماً ما قبره الشريف ورأيت روضته الشريفة وقبته العالية المنيفة فاستحضر في ذهنك قبره الشريف، وتلك الحضرة السنية كلما ذكرته ﷺ، أو صليت عليه وكن كأنك واقف عند قبره الشريف ﷺ مع الإجلال والتعظيم إلى أنْ تشهد روحانيته ظاهرة لك.

فإنْ لم تكن زرت قبره الشريف ولا رأيت موطن حضرته وروضته فأدم الصلاة عليه وتصور أنه يسمعك ﷺ وكن إذ ذاك متأدباً جامع الهمة لتصل إليه صلاتك عليه وانت حاضر بقلبك لديه فإنَّ لجمع الهمة أثر واستحي أنْ تذكره أو تصلي عليه ﷺ وأنت مشغول بغيره فتكون صلاتك جسماً بلا روح لأنَّ كل عمل يعمله العبد من أعمال البر إذا كان منوطاً بحضور القلب كانت صورة ذلك العمل حية، وإذا كان منوطاً بالغفلة وشغل الخاطر بالغير كانت صورته ميتة لا روح لها.

ومن ثم قال مشايخنا رضوان الله عليهم: إنَّ النية روح العمل، ولهذا قال ﷺ "إنما الأعمال بالنيات".

ولقد سمعت سيدي وشيحي الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي قدَّس الله تعالى روحه في الجنة يوماً، وهو يقول إنَّ العمل إذا صدر من العبد غير مقارن للنية في أوله فإذا أراد أنْ يقصد به وجه الله تعالى فلينوِ به بالشروع فيه فانه يكون ذلك سبباً لنفتح الروح فيه. ولو كان العبد قد نوي نية قبيحة ثم تاب عنها في أثناء العمل ونوى نية صالحة غير تلك فإنَّ ذلك أيضاً نافع في حسن صورة العمل ويكون العمل صفياً كاملاً،

ولقد صدق فيما قاله رضي الله عنه.

وقد علمت بما ذكرناه أنَّ القسم الأول من التعلق المعنوي هو استحضار صورته وما يتعلق بها مع ملازمة دوام التعلق بها بالهيبة مع الإجلال والتعظيم له ﷺ، فعليك بذلك ففيه السعادة الكبرى والمكانة الزلفى والله الموفق.

(القسم الثاني من التعلق المعنوي) هو استحضار حقيقته الكاملة الموصوفة بأوصاف الكمال، الجامعة بين الجلال والجمال، المتحلية بأوصاف الله الكبير المتعال، المشرّفة بنور الذات الإلهية في الآباد والآزال، المحيطة بكل كمال حقي وخلقي المستوعبة لكل فضيلة في الوجود صورة ومعنى حكماً وعيناً غيباً وشهادة ظاهراً وباطناً ولن تستطيع أنْ تستحضر كل ذلك له حتى تعلم أنه ﷺ هو البرزخ الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحديث فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتاً وصفات لأنهُ مخلوق من نور الذات والذات جامعة لأوصافها وافعالها وآثارها ومؤثراتها حكماً وعيناً.

ومن ثم قال الله تعالى في حقه ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، وإني سأنزل لك حقيقة معنى هذه الآية الشريفة، المفصحة عن كمالاته المنيفة، ﷺ إنزالاً مثالياً يتصور لك في الذهن برؤية هذا المثال تحقيق معناها إنْ شاء الله تعالى.

اعلم أولاً انَّ الوجود كله كدائرة واحدة مقسومة في النصف بخط يمر على مركز الدائرة، فالنصف الأعلى منها يسمى بالوجود القديم والواجب والحق وتعالى الله عن التقسيم والانقسام.

والنصف الأسفل منها يسمى بالوجود المحدث والممكن والخلق، فكل نصف من الدائرة قوس، والخطّ الواحد وتر ذلك القوس، فالخط وتر قوسي الدائرة وبه تقوس كل نصف عَلَى ما هو عليه فقسم هذا الخط الذي هو الوتر قاب قوسين، فعلم أنَّ المقام المحمدي هو الجامع للكمالات الإلهية والكمالات الخلقية صورة ومعنى، وقد مثلنا هذه الدائرة في الكتاب المتقدم على هذا الكتاب من حيث التجزئة ولم نكتف به لأنَّ هذا المحل محتاج إلى ذكرها والله أعلم.

وهذه صورة الدائرة الوجودية المثالية وإنما كان ﷺ برزخاً بين الحقائق

الحقية والحقائق الخلقية لأنهُ حقيقة الحقائق جميعها، ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش، وقد علمت أنَّ العرش غاية المخلوقات إذ ليس فوق العرش مخلوق فعند استوائه ﷺ.

ثم كانت المخلوقات بأصرها تحته وربه فوقه فصار برزخاً بين الحق والخلق

بالصورة المحسوسة، كما كان برزخاً بالمعنى لأنهُ الموجود من الحق والخلق موجودون منه ﷺ فهو المتصف بكلتا الصفتين من كلتا الجهتين صورة ومعنى حكماً وعيناً، فإذا علمت ما ذكرته لك سهُل عليك استحضار هذا الكمال المحمدي كما هو له إنْ شاء الله تعالى.

(**تنبيه**) اعلم أنَّ للحقيقة المحمدية ظهوراً في كل عالم يليق بحال ذلك العالم فليس ظهوره ﷺ في عالم الأجسام كظهوره في عالم الأرواح لأنَّ عالم الأجسام ضيق لا يسع ما يسعه عالم الأرواح، وليس ظهوره في عالم الأرواح كظهوره في عالم المعنى فإنْ عالم المعنى ألطف من عالم الأرواح وأوسع، ثم ليس ظهوره في الأرض كظهوره في السماء وليس ظهوره في السموات كظهوره عن يمين العرش وليس ظهوره عن يمين العرش كظهوره عند الله سبحانه وتعالى فوق العرش حيث لا أين ولا كيف، فكل مقام أعلى يكون ظهوره فيه أكمل وأتم من المقام الأنزل، ولكن ظهور جلالة وهيبة بقدر المحل حتى يتناهى إلى محل لا يستطيع أنْ يرى فيه أحداً من الأنبياء والأولياء وذلك معنى قوله ﷺ "لي وقت مع الله تعالى لا يسعني فيه غير ربي".

وفي رواية "**لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**"، فارفع بهمتك يا أخي لتراه في مظاهره العليا بمعانيه الكبرى فإنما هو هو.

(**إشارة**) أوصيك يا أخي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ﷺ ولو كنت متكلفاً مستحضراً فعن قليل تتألف روحك به فيحضر لك ﷺ عياناً تجده وتحدثه وتخاطبه فيجيبك ويحدثك ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة رضي الله عنهم وتلحق بهم إنْ شاء الله تعالى.

(الباب السابع في ثمرة ملازمة تلك الحضرة الشريفة، والدوام عَلَى مشاهدة تلك الصورة اللطيفة بمعانيها العزيزة المنيفة، وملاحظة ذلك ولو بالتصور والتخيل والتفكر)

اعلم أيدنا الله وإياك بروح قدسه، ولا أخلى الجميع من بسطه وأنسه، أنَّ ثمرة العكوف عليه، هي سبب الوصول إليه، ألا تراه ﷺ يقول: "**أكثركم علي صلاة أقربكم مني يوم القيامة**"، وذلك أنَّ المصلي عليه ﷺ كثيراً لا بد أنْ يتعلق به خاطره فيتعشق قلبه بالصورة الروحانية تعشقاً يوجب المحبة ودوام الذكر بالصلاة عليه ﷺ فلأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ومعهُ ﷺ.

وثم نكتة أخرى، وهي ما ورد في الحديث عنه ﷺ "أنَّ الداعي إذا دعا لأخيه المؤمن تقول له الملائكة ولك بمثل".

ولا خلاف أنَّ دعاء الملائكة مقبول لأنهم معصومون فيصلي الله على المصلي فترجع صلاة المصلي على نفسه ولهذا ورد في الحديث عنه ﷺ "أنَّ من صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه ـ أي على المصلي بها عشراً "، ولهذا يحصل المصلي في حقيقة القرب فيحشر معه فإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان، فما تكون نتيجة الصلاة بالقلب والروح والسر، وليس الصلاة إلا القرب والاجتماع والإقبال كما ورد في اللغة.

فإذا حصل هذا الأمر من الروح والسر هل يكون إلا معه عند الله لأنَّ نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه ﷺ القرب بالمكان، وهو في الجنة ونتيجة العمل الباطن وهو التعلق والإقبال ودوام استحضار صورته ﷺ ومعناه القرب بالمكانة، وهو عند الله في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف فافهم.

(اشارة) اعلم أنَّ الولي الكامل كلما ازدادت معرفته في الله تعالى سكن وثبت لوجوده عند ذكره عَلَى أنه لا ينساه وكلما ازدادت معرفته بالنبي ﷺ اضطرب، وظهرت عليه الآثار عند ذكره ﷺ وذلك انَّ معرفة الولي لله تعالى إنما هي عَلَى قدر قابلية الولي ومحتده في الله تعالى ومعرفته للنبي ﷺ شرب من معرفة الله تعالى عَلَى قدر قابلية النبي ﷺ، فلهذا لا يطيق أنْ يثبت له وتظهر عليه الآثار لأنهُ من فوق أطواره، وكلما ازداد الولي في النبي ﷺ معرفة كان أكمل من غيره وأمكن في الحضرة الإلهية وأدخل في معرفة الله تعالى عَلَى الإطلاق.

(بشارة) من خصائص النبي ﷺ أنَّ كل من رآه من الأولياء في تجلٍّ من التجليات الإلهية لابساً لخلعة من الخلع الكمالية فإنهُ ﷺ يتصدق بتلك الخلعة عَلَى الرائي وتكون له فإنْ كان قوياً أمكنه لبسها على الفور والا فهي مدخرة له عند الله تعالى يلبسها متى تقوى واستعد إما في الدنيا، وإما في الآخرة فمن حصل له تلك الخلعة ولبسها في الدنيا أو في الآخرة تكون له من النبي ﷺ هذه الفتوة فكل من رأى ذلك الولي في تجل من التجليات، وعليه تلك الخلعة النبوية فإنهُ يخلعها ويتصدق بها عن النبي ﷺ عَلَى الرائي الثاني، وينزل للولي الأول من المقام المحمدي خلعة أكمل من تلك الخلعة عوض ما تصدق بها، عن النبي ﷺ فإنْ أمكن أنْ يراه فيها أحد بعد ذلك خلعها عليه وحصلت له أخرى.

هكذا إلى ما لا نهاية له صدقة نبوية محمدية هاشمية جرت سنة محمد ﷺ بذلك من الأزل عند أخذ الله له العهد على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى نالوا بذلك مقام النبوة الشريفة التي قصرت أيادي الأولياء عن نيلها لأنَّ رؤية الأولياء له ﷺ إنما وقعت

بعد تلك الرؤية وفي غير ذلك المحل ولأجل هذا فازت الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم بدرجة السعادة التي ليست لغيرهم لأنهم أول من رآه في أكمل خلعة له ولم تزل هذه الفتوة دأبه عادة لسائر من يراه من الأولياء إلى أبد الآبدين ولتكن هذه المقالة، آخر هذه الرسالة والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، والحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ـ انتهى كتاب قاب قوسين.

(ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه) كتابه النور المتمكن في معنى قوله المؤمن مرآة المؤمن، وهو الجزء الحادي عشر من كتابه الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ فمن جواهره فيه قوله رضي الله عنه في خطبته الحمد لله الظاهر نور الوجود، الباطن الذي لا يدرك علا ظهوره في كل موجود، الولي الحميد، القريب البعيد المتفضل بمقتضيات الحقائق على أهل النعيم وأصحاب العذاب الشديد، الآخذ بناصية الكل إليه، من كلتا يديه، فهذا شقي وهذا سعيد، جعل الله محمداً ﷺ مقدم أهل الهداية آخذاً بيد الخلق إلى الحق المجيد، على طريق التقى بالعلم النافع والعمل الصالح، والرأي السديد، واقفاً بباب الوصل يدعو إليه كل مؤمن رشيد، وجعل إبليس اللعين مقدم أهل الغواية صارفاً للخلق عن الحق إلى الباطل العتيد، على طريق الهوى بالعلم المهلك والعمل الفاسد والرأي العنيد، واقفاً بباب القطع كالحاجب لمنع كل منكر وشيطان مريد، فقسّم سبحانه الخلق على قسمين، وأتبعهم هذين الشخصين، فهذا ولي مقبول وهذا شقي طريد، وصفاته هي الداعية لوجود هذين الجنسين في العبيد، فالجمال يقتضي النعمة، والجلال يقتضي النقمة، والبسط يقتضي التقريب، والقبض يوجب التبعيد، وبعد قطع مفاوز الطريقين فنهاية الكل اليه الشقي والسعيد، أحمده عين حمده لنفسه بالجمال، وأعظمه تعظيمه لذاته بالجلال، واقر له بما هو نعمته من الجمال، وأشهد أنْ لا إله إلا هو الواحد بالذات المنزّه عن الأصول والفروع والعترة والآل، وأشهد أنَّ محمداً ﷺ قطب وحي الكمالات، ومنصب حقائق الأسماء والصفات، الغوث الفرد الجامع لما قصرت عنه سائر الموجودات، فهو مفتاح خزائن الجود، والفضل في الوجود، وختم سائر المقامات، المبعوث رحمة للبريات، ما تواترت الآيات، وتعاقبت الأوقات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وشرف وعظم ومجد وكرم.

(ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي أيضاً) قوله في مقدمة كتابه النور المتمكن المذكور

ثم إنَّ جميع الأولياء المقربين مع علو شأنهم لا يترقون ويعرجون بالاستمساك بحبل عروته الوثقى ﷺ، ولهذا قال الجنيد رضي الله عنه: انسد كل باب إلى الله تعالى إلا باب محمد ﷺ فلا طريق إلى الله تعالى إلا من بابه ﷺ. يعني ليس لأحد طريق إلا أنْ يمشي خلفه، ويكون تابعه ظاهراً وباطناً حتى يصل إلى الله تعالى وإلا فلا ولولا ذلك لادعت الأولياء ما ادعتهُ الأنبياء من قبل فإنَّ الأولياء من أمة محمد ﷺ نالوا ما نالته الأنبياء في الباطن من الله تعالى، ولم ينالوا النبوة لانقطاعها بمحمد ﷺ.

والحكمة في ذلك أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما نالوا ما نالوا من النبوة وشرعوا ما شرعوه من الأديان بإذن الله تعالى لعلمه سبحانه وتعالى بأنَّ أديانهم تنسخ بظهور الدين المحمدي لأنهُ ﷺ يعنيهم ظهوراً، والأولياء ظهروا بعد محمد ﷺ فلو حصلت النبوة لأحد منهم لكان كالناسخ للدين المحمدي، وذلك محال فلا سبيل إليه لأنَّ الجزء لا يظهر عَلَى الكل بل الظهور للكل عَلَى الجزء، فدين محمد ﷺ كلي، ولهذا كان مبعوثاً إلى كافة الخلائق بخلاف غيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنهم إنما بعثهم الله تعالى إلى أقوام مخصوصة لأنَّ دينهم جزئي ودين كل منوط بمحتده كلي بكلي وجزئي بجزئي، فقوة محمد ﷺ بقوة العالم كله العرش والكرسي، واللوح، والقلم والأفلاك والأملاك، والسموات، والنجوم، والكواكب السيارات، والشمس، والقمر، والنار، والريح، والماء، والتراب، والشجر والحجر والمعدن والحيوان، وجميع الأنس والجان، ومجموع ما خلق الله تعالى وما هو خالق.

ويزيد على ذلك كله بالجمعية الكبرى التيَ خُصَّ هو بها وذلك هو المعبر عنه بقاب قوسين ﷺ وليس لسواه من ذلك كله إلا ما وسعته قابليته، فافهم وألحق نفسك به لحوق القطرة بالبحر لتفوز بالسعادة الكبرى والمكانة الزلفى، وفي هذه النكتة سر جليل وأمر نبيل لو قدر الله لك فهمه، وإلى هذا اللحوق بالبحر المحمدي أشار سيدي الشيخ أبو الغيث بن جميل رضي الله تعالى عنه بقوله: خضنا بحراً وقفت الأنبياء على ساحلة لأنَّ اللحوق الحقيقي بالشخص لا يكون إلا لمن بعده صورة ومعنى، فالأولياء الكمل من أمة محمد ﷺ لاحقون به صورة ومعنى فهم خائضون بحرة اللحوق المحمدي بخلاف الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين لأنهم إنما لحقوا بمحمد ﷺ حكماً فهم لاحقون من حيث المعنى لا من حيث الصورة فلأجل ذلك وقفوا على ساحل بحر اللحوق بالكمال المحمدي لأنهم كانوا في الظاهر متبوعين لا تابعين لغيرهم